إصحى يا نايم!!!

دفعه السجان داخل الزنزانه..سقط على الأرض مصعوقا لايرى الاظلاما قاتما..تتحسس يمناة الأرض اللزجة. رائحة البول تملاءالغرفة المقبضة كقبر..نظر إلى سقفهاالمصبوغ بالسواد ومياه الرشح ..أحس بالإختناق وكأن حيطان الغرفه تنطبق على اضلاعه .نظر إلى مصدر الضوء..كوة صغيرة بالحائط .يدخل منها الضوء كالسيف البتار.

حدق جيدا فى سقف واركان الحجره.رجل نائم فى ركنها. ينطلق من أنفه "شخير"كبقبقة الجمل، .تعجب كيف يأتى النوم فى هذا القبر.

جلس على الأرض متقرفصا ..متشرنقا على الأرض المبلولة بالبول والروث وأشياء أخرى لم يعهدها ..انتابته نوبة من الغثيان والقرف ..تقيأ ،تحسس جيوبه باجثا عن سيجاره.لازال فحم "النرجيله" فى جيبه .أخرج سيجاره وأشعلها..ثم فعصها فى الأرض ..أشعل أخرى وراح يدخن فى شراهة غير عادية..عاد بذاكرته إلى الوراء .

حادث القطار الذى قتل فاطمه زوجةاخيه عبدالقادروقتل نساء كثيرات فى قلب السوق..

يومها لم يكن صابر هو نوبتجى التحويله ..كان بالسوق..وقف فى وسط المزلقان يصرخ فى الناس يخبرهم أن القطار السريع قادم وراح يصرخ دون جدوى والبائعات يفترشن طريق القطار

.....

بعد هذا الحادث ظل اهل القريه يقيمون سوقهم كل جمعه فوق طريق القطار وكأن شيئا لم يكن.

بينما صابر فى ورديته وفى الثامنة صباحا وقف يتأمل السوق المزدحم وانتابته رجفة وخوف ..إحساس يصرخ فى داخله .وكأنه اشتم رائحة الموت تحلق فى المكان وتتكرر امام عينيه صورة زوجة اخيه غارقة فى دمائها تحت عجلات القطار الذى شطرها الى نصفين

أحس بالدم يندفع إلى رأسه فى قوه..اندفع ناحية المزلقان يصرخ محاولا إبعاد البائعين عن طريق القطار ..يصرخ:

- "يا ناس ابعدوا عن طريق القطر ..كفايه اللى راحو "

سال الدمع من عينيه وسمع لصوته نشيجا مكتوما وهو ينظر إلى السوق..يمسح الأرض بعينيه مكان الحادث حيث بقايا رماد الدم المحروق على القضبان ..

قال الشيخ "قطب "المجزوب وهو يربت على كتفه :

- "معلش يا صابر يا ولدى ..مقدر ومكتوب "..

يصرخ :

- "مقدر ومكتوب الناس تموت تحت عجل القطر ..يفرمهم زى الكلاب ؟؟

- "معلش يا ولدى شغلك وأكل عيشك والبركة فيك أحرس القطر يا ولدى واحرس الناس ..الناس هزمها اكل العيش "..

- "خايف عينى تغفل شويه والقطر يقطع الناس تانى"

..جلس صابر فى غرفه التحويله يرقب حركه السوق والمزلقان ..الزجام شديد وقضبان القطار مرصوصه بالبائعين والمزلقان مزدحم بالسيارات التى تعبر من الجانبين

..ينظر الدخان المتصاعد الى سقف الغرفه..ينتظر براد الشاى ..يسمع طرقا بالباب ..وحين فتح، اندفعت من الباب إمرأه يكاد وجهها يقطر دما ..حملق فيها مدهوشا..فرحا ..

- "تنشكى فى قلبك يا بت يا "فردوس" انت إختفيتى فين ؟؟؟..

.تندفع إلى صدره ..تزوم كقطةبرية جائعة ..

- "وحشتنى يا سى صابر"

أحس باشتعال اشواقه القديمة أخيرا محبوبته بين يديه، أحس رغبة جارفة تشده اليها ..نسى السوق والضوضاء ولم يعد يسمع سوى دقات قلبها ..

القى الصفاره جانبا..خلع سرواله فى فرح طفولى ومرت لحظات صمت رهيب وهو يفتش عن فحولته ،وكأن الدم تجمد فى عروقه يتصبب عرقا ورعشة ترج جسده ..لبس السروال وغطى مؤخرته وهى تضحك ..

- "شكلك عجزت يا صابر"

دفعها عن صدره..أحس برغبة فى التبول ..التقم صفارتة وجرى ناحية الباب.

قفز خارجا من الغرفة، نظر ناحية السوق فى قلق ..أحس مثانته ستنفجر ،دخل الى دورة المياه ليفك حصره أحس حرقان شديد فى "عضوه".صرخ..

..كانت صفاره القطار مباغتة وسريعة والناس يصرخون "الإكسبريس وصل ..القطروصل "

والشيخ قطب يصرخ :

- **"اقفل المزلقان يا صابر،صفر يا وله القطر هيقطع الناس "**

صابر يجرى كالمجنون يصرخ فى الناس أن يبتعدوا عن طريق القطار..

اختلطت الأصوات وصوت عجلات القطار الذى ولى تاركا ورائه فوضى من القتل والدمار.

.....

أغمض صابر عينيه ..هز رأسه بقوة غير مصدقا ماحدث ..قفز

يضربحائط الزنزانة بكلتا يديه ...يصرخ:

--"انا برىء الزنب مش زنبى ..هو أنا اللى حطيت السوق فى سكة القطر" ..وراح يبكى بصوت مسموع

.إستيقظ الرجل النائم بالزنزانة محدقا فى وجه صابر قائلا بلهجة صعيدية :

--"إهدى يا ولدى ..انت من ساعة ما دخلت المخروبة دى وانت بتبكى ..اية السجن للرجالة مالك خرع كده؟؟؟ "

اقترب من صابر يربت على كتفه :

.- "قلبت عليا المواجع .كفايه ..نام وبكره يحلها ربنا"

سادت لحظات من الصمت وكل منهما يحدق فى الآخر ..قلب صابر فى جيوبه وأخرج علبة سجائر وأشعل واحدة وناولها للرجل وأشعل أخرى وتصاعد الدخان كثيفا إلى سقف الغرفة.

قال الرجل الصعيدى وهو ينظرالى الحائط:

- **"شايف يا ولدى ..كل اللى مكتوب على الحيطان دة زكريات ناس اتظلموا قبلينا ..برغم الضلمة كتبوا وعبروا عن معاناتهم..الإنسان ده مخلوق عجيب"**

.صابريحدق فى الحائط ويبتسم إبتسامة حزينة:

- **"اذا كان رب البيت بالدف ضاربا ..فشيمة أهل البيت الرقص"**

ثم اردف :

- **"يعنى لو الكبير عيطبل الصغير يرقص ..الفساد بيجى من فوق أكبر منى ومنك"**

قال صابر :

- **"احنا أضعف من زجاج لمبة الجاز والفساد زى القطر بيدهس الضعيف".**

الرجل الصعيدى يزوم قائلا :

- **"نصرخ ..نصرخ ونسمع صوتنا لكل الناس "**

وصابر يبكى بصوت مكتوم:

- **"فقدان الأمل بيخلى الناس بكم وعميان"**

ثم نظر ناحية الأرض وأخرج قطعة فحم من جيبه وكتب على الحائط بخط كبير.

حكايات من كتاب النحو...

1 - فعل ماضى.

.....حافلة ...اتوبيس....كان ذلك ظهرا، والسائق الذى شدعلى رأسه منديل محلاوى كالح يقود بحرية ماجنة.

يجعر فى الراكبين أن يسرعوا فى الصعود أو الهبوط ويحذرهم من وجود "نشالين"

تنزل سيدة عجوز وهى تستغيث:

- **"حاسب يا بنى علشان انزل فى محطتى "**

المحصل يصرخ للسائق:

- **خلصنا يا اسطى "ماضى" نزلها**
- **يزوم ،يدفع العجوز أمامه حتى سلم الاتوبيس يدفعها فتسقط فى بحر الشارع وقد انكشف شعرها الأبيض المخضب بالحناء.**

المحصل يصرخ:

- **"دوس يا اسطى ماضى ..تأخرنا"**

السائق يضحك تضغط قدماه على دواسة البنزين فيندفع الاتوبيس مزلزلا الشارع وكأنما يفر من شيءما..شيء يترقب.

والسائق يقسم للراكبين أنه تأخر.

المحصل "يجعر" يركل الناس فى مؤخراتهم.

تتسع عيونهم ويسيل العرق الصيفى ليلجمهم ويرسم لوحات من الدهشة على الوجوه المتعبة وكأنهم تدربو على الصمت من زمن بعيد..

المحصل يصيح متسائلا:

- **من الذى لم يدفع؟؟؟**

ينظر إلى ساعته :

- اسحب شويه يا اسطى "ماضى" ..تأخرنا

تندفع الحافلة بشدة..تنحدربشدة

تنحدر وتنحدر .

صراخ وتدافع،صوت ارتطام رهيب. صمم ...صمت

أقلب جسدى ، أتحسسه، أتأكد من وجودى....يتحسسون أجسادهم،مؤخراتهم التى تنزف بغذارة وأقفيتهم....

المحصل تتلبسه دهشة .يزحف وقد كسرت إحدى ساقيه يصرخ .

اندفع الناس فى محاولةلانقاذ السائق الذى انعجن نصفه السفلى بلحم الأتوبيس...

يفتح فمه المملوءبالدم ويشهق:

.....لقد تأخرنا.....

2 - مفعول به

...فى طفولتى ولما شهدته يضرب والدتى بغل وحشى سألتها عن الموت..لماذا سرق الموت أبى..؟؟

مسحت دموعها وأقسمت أن أبى رغم أنهم دفنوه أمام عينيها ...أنه لم يمت وأننا نحن الميتون .وأفهمتنى أن الموت هو مفارقة الروح للجسد فبكيت كثيرا لموتى المبكر.ولما كبرت أحسست ضعفا فى بصرى ، أمشيى بين الأحياء كالأعمى

همس الشيخ "قطب الطيب"

"اعمل لدنياك كأنك تموت غدا"

فتغيرت خلقتى واقشعرت ملامحى، فقتلت نفسا وسرقت مالا وارتكبت فاحشة وخرقت السفينة.

ولما فاض الطوفان أعطونى ورقة مختومة بأنى أنهيت دراستى وهذا صك حريتى.

فوجدتنى مكبل بسلاسل أجر هزائمى كأعجاز نخل خاوية.

همس كبيرهم الذى علمهم السلب :

- "ألف مبروك ستعمل فى منجم الذهب".

ولما كسرت نظارتى الطبية أدركت ضعف بصيرتى وأن الناس ضعيفة أبصارهم وبصائرهم أيضا ،يفرحون بالذهب وهم لايدركون أنهم يعملون بالمنجم القذر جدا "حمالون"

3 - نائب فاعل

الشوارع تشغى بأفراد الشعب احتفالا بالباشا نائب الدائرة.الوزيرالمبتسم.يحملونه على أعناقهم .يهتفون.

"عاش عاش اللى احنا من غيره مانسواش"

الدركى يصرخ فيهم :

حبة من نظام يا أوباش"

يهتفون ويزحفون محتفلين بنائب دائرتهم الذى سيفعل كل شيء يطلبونه .يصلون بالوزير إلى قصر الملك..

الوزير يودع الجموع .يعدهم برفع مظالمهم إلى الملك وأنه لايهمه إلا مصلحة الشعب.

...الملك ينتزع شعر رأس الوزير شعرة شعرة، الوزير يتألم ..يتأوه لكنه يبتسم أمام الملك ويعده أنه سيجبى مال الشعب وأنه سيضرب الشعب بيد من حديد ..

****

الوزير يخرج إلى الشعب مسلوخ الرأس..ويعلن غضبه على الشعب فقط لأنهم يتهامسون ..أن وزيرهم "أقرع"